الدلالات الرمزية للقنفذ في شعر محمد عبدالله نورالدين

Figurative implications of the Hedgehog in Mohammed Abdollah Nooraldin's poetry

رسول بلاوي*

Rasoul Balavi

- جامعة خليج فارس، بوشهر – إيران، r.ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ الاستلام: 2020/02/06 تاريخ القبول: 2020/03/14 تاريخ النشر: 2020/03/31

ملخص:

الشاعر المبدع دائماً يفتّش في الطبيعة المحيطة به ليجد ما يساعده على التعبير، فيكتشف رموزاً فاعلة لم يفطن لها أحدٌ من ذي قبل حسب فطنته وقدرته الفنيّة. والتفتيش عن هذه الرموز لا يعني خواء لغته الشعرية وعجزها عن التعبير، بل هذه الرموز تنقل اللغة من المباشريّة والسطحية إلى فضاءات جديدة مفعمة بإيحاءات خصبة. والشاعر الإماراتي المعاصر محمد عبد الله نور الدين وجَدَ في "القُنفُذ" دلالات رمزيّة وإيحاءات خصبة ورؤى فكرية جديرة بالمتمعّن. رأى في هذا الكائن دلالات متناقضة تكشف عن ثنائيّة الخير والشر في ذات الإنسان، فأخذَ يكشف للمتلقي غرائبية غير مألوفة لهذا المخلوق العجيب مقتنعاً شخصيته للتعبير عن ذات الإنسان. وقد اختار الشاعر هذا الموجود الغريب لوعيه ومعرفته العميقة بسلوكياته وتقلّباته في الحياة. إنّنا في هذا البحث، وفقاً للمنهج الوصفي – التحليلي، سوف نسعى أن نبيّن أهمّ دلالات "القنفذ" التي استخدمها الشاعر في ديوانه الموسوم بـ"أتقنفذ شوكاً".

كلمات مفتاحية: *الدلالة، الرمز، القنفذ، محمد عبدالله نورالدين، ديوان "أتقنفذ شوكاً".*

Abstract:

Creative poets always look for inspiring things in the natural environment to find active secrets and figures not sensed by others. Searching for these figures does not mean the emptiness in his poetry language and words, rather; they transfer the language from shallowness and straightforwardness to new places that are full of productive inspirations. The Emirati Modern Poet Mohammed Abdollah Nooraldin found figurative implications and productive inspirations and significant ideas in hedgehog. He saw paradoxical implications in this creature that implicate good and evil in the human being. So, he tried to investigate the abnormal oddness of this wierd creature and took it as disguise to human being. This poet took this odd creature because of his knowledge of its moody behavior in life. In this descriptive analytical study we try to show the main hedgehog's implications that have been used by the poet in his book, Ataqanfad-oShawkan.

***Keywords**: Implication, figure, hedgehog, Mohammed Abdollah Nooraldin, Ataqanfad-o-Shawkan.*

* **المؤلف المرسل**: رسول بلاوي، **الإيميل**: r.ballawy@pgu.ac.ir

1. مقدمة:

محمد عبدالله نورالدين شاعر وناقد ومترجم من مواليد أبوظبي عام 1976؛ وهو عضو فعّال في الساحة الأدبية في الإمارات من خلال مهام عضوية الهيئة الإدارية في بيت الشعر واتحاد كتّاب وأدباء الإمارات في أبوظبي وتأسيس دار نبطي للنشر. أصدر العديد من الأعمال الأدبيّة بما فيها دراسات نقدية ودواوين شعرية بالفصحى والشعبيّة. وفي إنجاز هذه الدراسة وقعَ اختيارنا على ديوانه الموسم بـ "أتَقَنفَذُ شوكاً" ليكون محوراً لهذه الدراسة التي تسعى إلى الكشف عن التشكّلات القنفذية ودلالاتها الرمزية. الشاعر محمد نورالدين وظّف هذا الكائن للتعبير عن عزلته واستبعاده عن البيئة البشريّة، وعن رؤيته الشعرية التي يريد التعبير عنها.

تفنّن الشاعر في اختياره لعنوان ديوانه "أتقنفذ شوكاً" والذي يوحي بكثافة دلاليّة وتشكّلات لغويّة مفخّخة بالشعريّة. وقد كرّر في قصائده مفردات مشتقة من "القنفذ" كـ (القنافذ، والقنفذة، وقنفوذة) وفقاً للسياق والتشكيل الرمزي الذي يسعى الشاعر إلى تجسيده من خلال لغته. عبّر الشاعر عن ذات الإنسان عبر القنفذ وهو كائن غريب يسرح ويمرح في الليل، ويهجع في النهار، ويغطي جسمه أشواك حادة، ويلتفّ حول نفسه عندما يتعرّض للخطر، فهو يمتاز بقدرته على الاختفاء تحت جلده، وامتناع الآخرين من الاقتراب منه. ونظراً لشكله وكثرة الشوكه على جسده لم يتقبّله الإنسان، ولا يحرص على اقتنائه.

يرى الدكتور سلمان كاصد «أنّ القنفذ ليس رمزاً هنا بقدر ما هو قناع للتخفّي، إذ القنفذة تعني التمحور حول الذات، وهي بذلك طريقة للدفاع عن النفس ضد أعداء الحضارة التي صنعها الإنسان، ولأنّ الشاعر يدعو إلى الحب في قصائده فإنّه يلجأ إلى الوقوف ضد التقنفذ الذي يخلق شوكاً» (1).

1-1. أسئلة البحث:

إنّنا في هذا البحث نسعى للإجابة عن السؤالينِ التاليينِ:

- كيف تجلّت التشكّلات القنفذية في ديوان "أتقنفذ شوكا" للشاعر محمد عبدالله نورالدين؟
- ما هي الأبعاد الرمزية التي يوحي بها "القنفذ" في هذا الديوان؟

2-1. خلفيّة البحث:

من أهمّ الدراسات التي كُتبت في مجال الرمز ودلالاته في الشعر الحديث تجدر الإشارة إلى الدراسات التالية: كتاب موسوم بـ «بنية الرمز ودلالته الفنيةّ في شعر محمود درويش» لريحاب عثمان عبدالغني، وقد صدرَ عام 2008م عن مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع. وقد كتبَ رسول بلاوي وحسين مهتدي (1436ه) بحثاً تحت عنوان «الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي» وقم تم شر البحث في مجلة اللغة العربية وآدابها الصادرة عن جامعة طهران/ فرع فارابي؛ في هذا البحث تمت دراسة أبرز هذه الرموز الطبيعية كالنخلة، والنهر، والبحر، والمطر، والليل، والريح، والصحراء، والشمس، والقمر. وهناك بحث موسوم بـ «فاعلية الرموز الطبيعية فى شعر الأطفال لسليمان العيسى (ديوان "أراجيح تغنى للأطفال" نموذجًا)» للباحثة زهراء فريد، في مجلة اضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي. وفي هذا البحث حاولت الباحثة تبيين الدلالات الرمزية للظواهر الطبيعية التى وردت فى شعر الشاعر السورى سليمان العيسى ومعرفة أهداف الشاعر فيما يتعلّق باستخدام الرموز. أمّا من خلال بحثنا عن دلالات القنفذ الرمزية فقد تبيّن لنا أنّ هذه الدراسة الأولى والرائدة التي تسعى أن تكشف عن الجوانب الرمزية للقنفذ في الشعر المعاصر.

2. مفهوم الرمز ووظائفه الدلاليّة

جاء في لسان العرب «الرَّمْزُ: تصويت خفي باللسان كالهَمْس، ويكون تحريكَ الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنّما هو إشارة بالشفتين، وقيل: الرَّمْزُ إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. والرَّمْزُ في اللغة كل ما أَشرت إِليه مما يُبانُ بلفظ بأَي شيءٍ أَشرت إِليه بيد أَو بعين، ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزاً» (2). الشعراء جعلوا من الرمز «منفذاً للتعبير عن التجربة الشعريّة لديهم فهو يمنح الشاعر أداة مفعمة بالإيحاء والدلالة تستطيع أن تنصهر في القصيدة فتكسبها أرقى الأساليب.... الرمز بُعداً جماليّاً وفي الوقت نفسه حريّة مطلقة تتيح للشاعر التعبير عن نفسه وما يختلج في صدره من أحاسيس وقيم إنسانيّة» (3).

إنّ الرمز يتميّز بالديناميكية التي تعطي للشاعر حرية التصرّف الفني في نصّه. ولا ننسى أنّ للأشياء أهمّيتها وتاريخها في الوعي الاجتماعي، فالشاعر لا يمكن له أن يهملها أو يتغاضى عنها، غير أنّ تلك الأهمية متواصلة النمو والتغيير، تبعاً للتجربة الاجتماعية المتغيرة

والمتطورة. «إنّ هذه التعددية في أطوار الأشياء، وفي الحاجات النفسية والتعبيرية، والمواقف الاجتماعية، تعكس تعددية هائلة في الذات الفنية التي هي الأخرى لها أطوارها المختلفة المتعددة، ولهذا فلا غرو أن يكون الرمز الطبيعي ذا قيم جمالية متباينة ومتناقضة أحياناً في النصوص الشعرية. الجدير بالذكر أنّ التعدّدية في الرمز الطبيعي لا تعني بأي شكل من الأشكال، الفوضى والاعتباطية، بحيث يفتقر الرمز إلى الإحالة الجمالية، كما أنّ التلاعب باللغة لا ينتج رمزاً فنيّاً أو بنية شعرية رمزية. إنّ شرعية الرمز أو الترميز تتأتّى أوّلاً من أصالة التمكّن الجمالي للظاهرة التي هي موضوع الهاجس الشعري، لأنّ الرمز هو الذي ينقل اللغة الشعرية إلى فضاءات جديدة ويبعث في مفرداتها إيحاءات متنوعة» (4).

الرمز من أبرز الأساليب اللغوية «في التعبير الشعري شريطة ألّا يتحّول إلى لغز، بل يجب أن يظل الرمز على شفافية تنم عمّا خلفه أو توحي بمضمونه» (5). يُعتبَر الرمز من أبرز تقنيات الشعر المعاصر وأهمّ وسائل تشكيل الصورة الشعريّة. و «هو ما يتيح لنا أن نتأمّل شيئاً آخر وراء النص، الرمز هو، قبل كل شيء، معنىً خفي وإيحاء، إنّه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة؛ أو هو القصيدة التي تتكوّن في وعيك بعد قراءة القصيدة. إنّه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر» (6). فـ «الرمز بمفهومه الشامل هو: ما يمكن أن يحلّ محلّ شيءٍ آخر في الدلالة عليه، ليس بطريقة المطابقة التامّة وإنّما بالإيحاء، أو بوجود علاقة عرضيّة، أو علاقةٍ متعارفٍ عليها» (7).

اللغة الرمزيّة ذات نظامٍ قادرٍ على إبراز الدلالات التي تحتويها التجربة الشعريّة ويطلّبها السياق الشعري، لأنّ «اللغة في أصلها رموز أُصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف» (8). والشاعر المبدع يجد في اللغة الرمزية قدرة فنيّة في التعبير، فهذه اللغة «ذات إيحاء جم، ومظهر إيجاز واضح» (9).

أصبحت للرموز بكافة مستوياتها أهمية قصوى للشاعر، بحيث غدا استدعاء الرموز أمراَ يثري المضمون الشعريّ، ويكشف عن المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة. معطيات الرمز عامل مؤثر في إغناء الصورة وفي رفد أبعادها آفاقاً جديدةً ومتنوعةً، وكذلك فإنّ وجود الرمز يستحضر معه مفردات خاصة بهِ، وهذه المفردات تؤدي إلى تخصيب الصورة وإغناء مناخاتها (10).

3. القنفذ ودلالاته:

جاء في لسان العرب: «لقُنْفُذ والقُنْفَذ: الشَّيْهَمُ، معروف، والأُنثى قُنْفُذة وقُنْفَذَة. وتَقَنْفُذُهما: تَقَبُّضهما. وإنه لقُنْفُذُ ليلٍ أَي أَنه لا ينام كما أَن القُنْفُذَ لا ينام» (11). القنفذ حيوان معروف لدى العرب فكما رأينا جاء ذكره بتفصيلٍ في لسان العرب، و«كان العرب يكنونه بأبي شوك، ويكنونه أيضاً بأبي سفيان، والأنثى منه يطلقون عليها أم دلدل، ويسمونه أيضاً العسعاس لأنّه لا يخرج إلّا بالليل باحثاً عما يقتات عليه ورؤيته ضعيفة في النهار. وتتجوّل القنافذ لمسافات بعيدة تصل إلى عدة كيلومترات، وتعيش فرادى حيث تنام في النهار وحدها في الجحر» (12).

القنفذ يُعدّ حيواناً ذا نشاط ليلي، فهو يهجع بالنهار تحت أوراق الشجر أو في شقوق الصخور، ويجوب في الليل باحثاً عن الغذاء. و«ينتمي إلى مجموعة الثدييّات، وأنثاه تلد وتُرضع صغارها، وهو صغير الحجم، له أذنان صغيرتان وفمٌ صغير مُستطيل الشّكل، ورقبته قصيرة جداً تكادُ لا تكون ظاهرة، وأقدامه قصيرة أيضاً، وهو يُشتَهر بأنَّ الجانب الخلفيَّ من جسمه مُغطّىً بعدّة آلافٍ من الأشواك الحادّة لحمايته من أعدائه، وهذه الأشواك هي عبارةٌ عن شعراتٍ جوفاء مُغطّاة بطبقةٍ من مادة الكيراتين، وعلى عكسِ أشواك بعض الحيوانات الأخرى فهي تكونُ مُلتصقةً بجسم القنفذ ولا تنفصلُ عنه بسهولة» (13).

جاء ذكره في كتاب الحيوان للجاحظ إذ قال عنه: «وكذلك يُشبّه النّمّامُ، والمُداخِلُ، والدّسِيس، بالقنفذ لخروجه بالليل دون النهار، ولاحتياله للأفاعي. قال عَبدة بن الطبيب: اعصُوا الذي يُلقي القنافذَ بينكم/ مُتَنَصِّحاً وهو السِّمامُ الأنقع؛ ثم قال عَبدة بن الطبيب، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القُنفذ والنّميمة: قومٌ إذا دَمَسَ الظّلامُ عليهمُ / جذعوا قنافِذَ بالنميمة تمزَعُ. وقال الأوديُّ: كقنفذ القنّ لا تخفى مَدَارجهُ / خبٌّ إذا نام عنه الناس لم ينمِ» (14). وذكره القزويني في كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات: القنفذ «الحيوان الذي يقال له بالفارسية خاربشت، سلاحه على ظهره وهو الشوك الذي عليه، ويتقنع بحيث لا يبين من أطرافه شيء، ويستطيب الهواء ويتّخذ لمسكنه بابين أحدهما مستقبل الشمال والآخر مستقبل الجنوب، ويعادي الحية فإذا ظفر بقفاها قتلها بأسهل طريق، وإن ظفر بذنبها عض ذنبها ويتقنع ويعطي الحية ظهره ويمضغ ذنبها، والحية تضرب نفسها على شوكه حتى تهلك، ويصعد الكرم

ويرمي حبات العناقيد إلى الأرض ثم ينزل ويتمرغ فيها ليدخل شوكه في الحبات فيحملها ويذهب لأولاده» (15).

وفي ديوان "أتقنفذ شوكاً" للشاعر محمد عبدالله نورالدين أصبح رمزاً ومعادلاً موضوعيّاً للإنسان المعاصر وتحوّلاته وأزماته في الحياة. «القنفذ يتشكّل بصور متعددة في هذا الديوان ليرمز إلى نماذج بشرية نراها كل يوم ونصادفها في كل مكان... كما يرمز إلى تحوّلات الإنسان المعاصر وتقلباته وآفاته المتفاقمة... فمرة نجده القنفذ المؤذي بأشواكه الحادة الذي لا يريد أحداً غيره في الساحة... ومرّة نجده يستبدل الريش الناعم بالشوك الدامي حين يداهمه القهر والظلم والغدر والحقد... مثلما نجده في مرة ثالثة القنفذ المسالم الرحيم بالأيتام والضعاف حين يلمس دفئاً أو حناناً أو حباً من الآخرين... وأخيراً قد نجده محايداً منطوياً على نفسه منسحباً من صراعات لا تنتهي ومتمترساً داخل حصنه الشوكي». (16)

4. دلالات القهر والمأساة:

مرّت الأمة العربية في العصر الراهن بظروف مسيّجة بالقهر السياسي والاجتماعي، والشعراء للتعبير عن هذه المآسي اعتمدوا على آليات موحيّة قادرة على تجسيد عمقها للملتقي. الشاعر محمد نورالدين وجدَ أيضاً دلالات خصبة في "القنفذ" للتعبير عن هذه المآسي؛ فهو لم يستسلم أمام هذا القهر بل أخذ يسلك طريقه ويتحدّى الظروف كما هو حال القنفذ في مواجهة الصعاب وحده ليلاً. هذه الدلالة الرمزية للقنفذ تستمدّ طاقاتها الشعورية والإيحائية من رؤية الشاعر الخاصة إذ لم يسبق لأحدٍ ترميز هذا الكائن العجيب في شعره بهذا الشكل، وهذه الفاعليّة التعبيرية تنبع من استيعابه لأبعاد مآسي الإنسان المعاصر.

في قصيدة بعنوان (آن الأوان) يقول الشاعر:

أما آنَ الأوانُ/ أن ينزعَ القُنفُذُ جِلدَ المأساة/ ويَلتحِف/ بفروةٍ من الورود/ أو أن يَحلِقَ/ بعضَ حَسَكهِ باللّيزَر/ كما تفعلُ/ الأجناسُ الجديدة (17).

هذه الثنائية التي رسمها الشاعر بين الورد والحسك تكشف عن أزمات الإنسان المعاصر وانتكاساته في زمن مرتكز على التقابل والتضاد. يرمز "القنفذ" في هذا المقتبس إلى الإنسان الذي ابتعد عن مشاعره الإنسانية الطيبة فأحيطت به المآسي، فيخاطبه الشاعر بصرخة استفتاحية

طالباً منه أن يحلّق حسكه ويترجّل من عنجهيته وغطرسته، ويعود إلى طبعته الإنسانية وذاته البشريّة التي جُبل عليها. وفي النص التالي نرى التقاطع الرمزي بين القنفذ والشاعر:

لا يحتاجُ القُنفُذُ إلى قَلَم/ يستعيرُ الشوك/ من ظَهرِ المأساةِ/ ويمضي كاتباً/ على مُفترَقِ الرّيح/ يكتبُ ملامِحَ الأوجاع.../ مغبرةٌ كلُّ الوجوه/ مَن ينتشِلُ الحُلُمَ/ من تحتِ الأنقاض؟! (18).

فالشاعر/ القنفذ لا يحتاج إلى جهد لكي يعبّر عن المأساة التي تحيط به، فنصوصه هي التي تفرض نفسها على المتلقي بشكل عفويّ لتعبّر عن المآسي والأوجاع. هذا الشاعر المتقنذ مسكون بهمومه وأوجاعه ومرغم على الكشف عنها والكتابة على مفترق الريح.

يلعَقُ القُنفُذُ/ واقعَهُ المرَّ/ ويمضي/ نحوَ كلّ مَن يَكرهُه/ بينما في غِمدِهِ/ كلُّ سيفٍ من حَسَك (19).

فالقنفذ/ الشاعر يتجرّع مرورة واقعه وحده ويمضي نحو كلّ من يكرهه ويعارضه من أعداءه دون أن يتعرّض لهم مع أنّه يحمل سيفاً من الحسك/ الكلمات الشعرية. وفي هذا المقتبس يبدو لنا أنّ الشاعر تحوّل إلى كتلة من الشوك (القنفذ/ الحسك) لكي يعبّر عن انكساراته النفسية تجاه من يحيطون به. والحسك هو سلاح القنفذ الذي يدافع به عن نفسه ولا حياة له دون هذا السلاح الذي يحميه من بطش العدو كما أنّ سلاح الشاعر هو نصوصه الشعريّة التي يبرز وجوده عن طريقها.

أيّها الليلُ/ يا رفيقَ القنافذِ السّاهرة.../ أينَ يذهبُ النّائمون/ حين تستيقظُ الأحلامُ/ من كابوسِها الورديّ/ ويغفرُ كلَّ الخطايا/ توبةُ النّصوح (20)

القنافذة الساهرة تحيل القارئ إلى الشعراء الساهرين الذين يبحثون عن أحلامهم وسط الكوابيس الورديّة، وتكشف عن احتجاج الشاعر على غياب العدالة وتفشي الظلم والقهر. اعتبر الشاعر أنّ الليل رفيقاً للقنافذ لأنّها تسهر الليل بحثاً عن قوتها؛ وهذه الإشارة إلى الليل دلالة واضحة على معاني القهر والضعف والانحراف لأجل التعايش.

5. التهميش والعزلة:

ظاهرة التهميش والاستبعاد دائماً موجودة وبشدّة في المجتمعات التي لا تتمتّع بحريّة التعبير ولا تسمح للشعب بمطالبة حقوقه المفروضة. وهذه حالات التهميش والاقصاء والعزلة والاغتراب تكاد تلتصق بحياة الشعراء الأحرار الذين لا يعجبهم الوضع الراهن. الشاعر محمد

نورالدين استخدم في نصوصه تشكّلات "القنفذ" للدلالة على الانزواء والتهميش والعزلة، لأنّ «القنفذ من الحيوانات المُحبة للعزلة والنوم، ويمكنه النوم 18 ساعة في اليوم الواحد، ويتكيّف القنفذ الذي يعيش في المناطق الباردة مع بيئته بالنوم خلال فترة اشتداد البرودة، ويُسمّى هذا السلوك البيات أو السبات الشِّتوي، أمّا القنافذ التي تعيش في الصحاري فتقضي فترة اشتداد الحرارة والجفاف بالنوم، وهو ما يُسمّى البيات الصِّيفي» (21). فمن هنا تتبيّن لنا عزلة القنفذ وابتعاده عمّا حوله. يقول الشاعر في النص التالي:

القنفذةُ/ هي الأجسادُ المزروعةُ/ تحتَ الأنقاض/ عندما تكنسُ وجَهَها/ من غُبارِ الحقيقةِ/ وتعيشُ في التهميش / أولَ فُصولِ الإقصاء/ ربما يُضحكنا/ اصطلاحُ القنفذة/ لكنّ مساميرَهُ/ حقيقةٌ على نعشِ الزَّمَن (22).

فتبرز هنا القنفذة لتكون محكومة بزراعتها تحت الأنقاض، فالقنفذ/ الشاعر يسعى للتخلّص من هذه الأنقاض ليكتشف الحقيقة، لكنّه يعيش في التهميش منطويّاً على نفسه. مع كل ذلك سوف تبقى مساميره/ قصائده شاهدة على حقيقة الزمن. «يفصح الشاعر أنّ القنفذة هي رد فعل لتهميش الإنسان، عندما يهمّش الإنسان ويجبر على أن يعيش تحت الأنقاض. لابدّ من وجود عمل يكافئ التهميش، وهو تصرّف طبيعي لإقصائه، عندما يعي الإنسان حقيقة التهميش القاسية سيكنس وجهه من غبارها أي يحاول نسيانها، فيرمي ذاته في لجّة أكثر إيلاماً هي الانزواء والتصرّف مثل القنفذ» (23). وفي النص التالي يقول الشاعر:

تعلمونَ كيفَ ينامُ القُنفُذ/ علي أيّ جنبٍ؟/ على جنبٍ/ لا تجرحُ الحقيقة/ يتجنّبُ كُلَّ الأحباب/ كي لا تنزفَ الوصال/ أوصالاً/ القنافذُ لا تَنام/ تَغُضُّ الطَّرفَ عن الظَّلام/ لترفعَ السّتار/ عن الأحلام/ أعذروني/ على قَنفَذتي/ في حضرةِ الحَرير/ أخافُ أن تَخدِشَ/ حياءَ الانتظار/ ذاكرةُ الحَسَك (24).

في هذا المقتبس، انتبه الشاعر بفطنته إلى عدم إدراك المتلقي لرمزية القنفذ وإلمامه بتفاصيل حياته، فأخذ يبيّن بعض جوانبه الغامضة. يقول الشاعر أنّ القنفذ ينام على جنب لا تجرح الحقيقة، فهو يتحاشى الاقتراب من أحبّته لكي لا يجرح بشوكه أحداً منهم. فالشاعر المتقنفذ يبتعد عن الآخرين حتى يعيش عزلته الروحيّة يقظاً (القنافذ لا تنام)، ساعيّاً إلى

تحقيق أحلامه، فيعتذر من الناس على هذه القنفذة لأنّه لا يمكنه العيش إلّا بهذه الحالة، ولا تعجبه حياة الترف والنعومة (الحرير) التي قد تفقده طاقاته الإبداعية.

يُكمِلُ القُنفُذُ/ تعليمَهُ الأساسيَّ/ ليلاً/ ويحملُ القلمَ/ حينَ ينامُ المُدَرّسُون/ وينامُ الطُّلاب/ وينامُ سائقُ الباص/ ويستيقظُ/ الألم (25).

يحمل هذا النص دلالات غياب الأمل في الاصلاح لدى الشاعر، فينبري وحده ليمكّل مشواره التعليمي ليلاً بعيداً عن ضوضاء المجتمع، فيحمل القلم/ رسالته عندما ينام المدرّسون والطّلاب وحتى سائق الباص وهم شريحة معنيّة بأمر التعليم في المجتمع. وهذا بحدّ ذاته تحدٍّ أمام الحزن والألم. ثمّ يتابع الشاعر نصّه قائلاً:

يتعلّم القنفذُ/ من مدرسةٍ/ تشرعُ أبوابَها صيفاً/ حينَ لا أحدَ/ ولا دفاترَ/ إلّا الطاولات/ ولا كُتبَ/ إلّا الكراسي/ وسلّةٍ خاليةِ المهملات/ ليكتُبَ/ على اللُّوح/ أنّه موجودٌ خلف الجُدران/ هناك/ حيثُ هناك/ لا يوجدُ أحدٌ (26).

فهذا القنفذ/ الإنسان يتلقّى دروسه في مدرسة الحياة وحده في فترة الصيف، حيث تخلو هذه المدرسة من الطلاب ومن دفاترهم وكتبهم، ففي هذا الفراغ والعزلة يظهر هذا الإنسان ليعلن عن وجوده. هذ النصّ يمثّل للقارئ مظاهر التهميش والعزلة والتخفي والخجل التي تهيمن على وجود الشاعر المتقنفذ.

6. التعايش والتعاطف:

يوكّد الشاعر محمد نورالدين في نصوصه على مبدأ التعايش السلمي مع الآخر والتعاطف مع البشر. التعايش هو أن يسعى الإنسان نحو فهم ظروف الآخرين والتعاطف مع مشاعرهم وأحاسيسهم ، وأن يشعر ويدرك أنّ مشكلة الآخر هي مشكلته أيضاً. رؤية الشاعر الإنسانيّة أدّت إلى فهمِ الواقع ووعيهِ فدفعته إلى التعايش مع هذا الواقع المتأزّم. وللتعبير عن هذا التعايش والتعاطف لجأ إلى ترميز "القنفذ" لأنّه كائن مسالم. «وقد يتوهّم البعض أنّ القنفذ حيوان شرس بسبب ما عرف عن قدرته القتالية، لكنّه في الحقيقة حيوان مسالم ولا يبادر إلى الاشتباك مع غيره في قتال وإنّما يقاتل مضطراً، فهو في فصل الشتاء يتخيّر فجوة أو كهفاً يتكوّر فيه على نفسه حيث ينام معظم وقته، أمّا في الصيف فهو يتجوّل في وداعة بحثاً

عن طعامه بين الغابات» (27). في قصيدة "بلا حدود" تتجلّى النظرة الإنسانية والتعاطف بين الكائنات:

القَنافِذُ/ لا تعرفُ التَّفرقَة/ فكلُّ الجُلود/ أنعمُ من أشواكها/ وكلُّ ألوانِها/ تَزركشَت/ على أبيَضِها (28).

فهذه القنافذ مع أنّ لها أشواك حادّة تجعلها مختلفة عن سائر الكائنات لكنّها تريد التعايش السلمي ولا تعرف التفرقة. وهذه القنافذ خلافاً إلى جلدها المسيّج بالأشواك، إنّها تنطوي على سريرة نقيّة طاهرة كالثوب الأبيض فلا تعرف الخداع والمراوغة. في هذا المقتبس يتخطّى الشاعر ظواهر الكائنات لكيشف عمّا يدور في داخلها، فالظاهر القبيح لا يدلّ على باطن قبيح بل أحياناً يكون العكس. قوله (تزركشت/ على أبيضها) يدلّ على نقاء القلب وبياضه، كما جاء أيضاً في المقتبس التالي:

أما آنَ الأوانَ/ أن يحلمَ القُنفُذُ/ ملءَ الصُّبح/ وأن يُزَركشَ أبيَضَه/ ألوانَ الاختلاط/ كي يَعرِفَهُ الآخَر (29).

وفي النص التالي أشار الشاعر إلى خلاصة التحوّلات التي تعرّض لها القنفذ/ الإنسان:

قالَ لي القُنفُذ:/ عزيزيَ الإنسان/ أنا مخلوقٌ صغيرٌ/ كانَ لي شعرٌ ناعمٌ/ تحوّلَ إلى أشواك/ بفعلِ الظُّروف/ وأبعَدَت/ أصدقائي عَني/ فهل ستكونُ صَديقي؟/ لأنّي أظُنُّ/ أنّك تُشبِهُني/ كلّما أرى على حُدودِك/ أسلاكاً شائِكة (30)

جاء الخطاب عن لسان "القنفذ" موجّهاً إلى الإنسان، ليذكّره بما تعرضّ له هذا القنفذ من أزمات وأحقاد حوّلته من مخلوق صغير ناعم الشعر إلى موجود غريب مسيّج بالأشواك، ومن الطبيعة الإنسانية إلى الطبيعة الهمجية حيث يؤدّي الظلم والاستلاب وفقدان العدالة دائماً إلى الصدام والاقتتال. هذا القنفذ الوحيد يريد أن يرجع إلى طبيعته التي وُلِد وجُبِل عليها فيطلب من الإنسان الآخر أن يكون صديقاً له بعد أن ابتعد أصدقاءه عنه، فالوحدة هي التي أرغمت هذا القنفذ لكي يقترب من الآخر ويطلب صداقته لكي يتعايش معه بتعاطف لوجود التشابه بينهما، فكلاهما يبحث عن شيء مفقود في الحياة، فالقنفذ يبحث عن القوّة، والإنسان عن العدالة التي افتقدها في ظل ظروف أنتجتها حدود شائكة تُسمّى الوطن.

7. الطهارة والقداسة:

الطهارة والقداسة من التحوّلات التي تبرز في دلالات "القنفذ". نرى الشاعر يتّخذ أحياناً من القنافذ دلالات توحي بالطهارة والاصلاح عندما تقف في وجه الخونة والفاسدين.

هيّا/ لنُصلّي خلفَ البحر/ أيّها القنافذ/ جماعات وفرادى/ فالسّلاحفُ خانت الملح/ وطهارةَ الماء/ ووضعت بيض الخيانة/ في رمال فاسدة... (31).

فالخطاب موّجه إلى جماعات القنافذ/ البشر لكي تأخذ الحذر من السلاحف التي أنجبت الخيانة في بيئة فاسدة غير قابلة للإصلاح. وهذه الخيانة سوف تستمر متجسّدة في نسلها الفاسد. في المقتبس نرى التقابل بين القنافذ وبين السلاحف وكلاهما من الزواحف مع اختلاف في نوع فصيلتهما. يطلب الشاعر من القنافذ أن تستعد للصلاة/ الطهارة بعد ما أفسدت السلاحف الخائنة طهارة الماء والمكان. فهنا القنافذ تمثّل رمز الطهارة والقداسة، خلافاً للسلاحف التي توحي بالخيانة والفساد.

لنرحَل إلى القَمَر/ إلى وَجهِهِ المُظلم/ هناك حيثُ لا شَمسَ/ تَسرِقُ أوطانَنَا/ لِنُغَنّي معاً/ قُنفُوذَة خالدة/ فلا تَنتَسِبوا إلينا/ نحنُ نَنتَسِبُ/ إلى كلّ جريح/ نَتهادى وُرودَ الصَبَّار/ فَلتَنمُ أعينُ المرتاحين/ إنّنا نُعالِجُ عينَ السّهر (32).

ترسم الظروف دائماً طريق البشر وسلوكياته؛ فإمّا أن تدفع الإنسان إلى الابداع والارتقاء والاعمار تحت ظلّ العدالة والمساواة وإمّا أن تجرّه نحو الخراب والدمار والفناء والخواء في حالات الظلم. وفي هذا المقوس نجد الشاعر يبدأ رحلته إلى القمر/ إلى عالم آخر أكثر قداسة، لا يتعرّض فيه الوطن إلى السرقة والنهب والدمار، ليغنّي هناك مع رفاقه قُنفُوذة/ أنشودة خالدة من القهر والألم.

8. ثنائية الشرّ والخير:

الخير والشر ثنائية مترسّخة في الوجود البشري، وعليها تترتب ثنائيات أخرى كالحب والحقد، والحق والباطل، والطاعة والمعصية، والقوّة والضعف. الخير والشر عنصران متلازمان دائماً، ولا تكتمل سنة الحياة بدونهما. جاء في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُون﴾ (33).

لقد اعتنى الشاعر بهذه الثنائيّة لكي يعبّر عن فكرته الإبداعيّة، ويجسّد للملتقي هذا التقابل القائم في مظاهر الكون. يبرز التقابل بين الحب والحقد في قصيدة تحمل عنوان "عزلة" حيث يرصد الشاعر فيها تحولات القنفذ/ الإنسان المعاصر فيقول:

ينبتُ على/ جِلدِ القُنفِذِ/ آلاف الخناجر/ لتمزّقَ الرّوحَ/ آهاتٍ آهات/ ما أنعمَ الشّوك/ على ظَهرِه/ حينَ يمسحُ الأصدقاء/ من رأس الأقدار/ هَدهَدات الأمل/ فَلنَمسح على أيتامنا/ من أصابعِ الرَّحمَة/ أُنمُولَةَ اطمئنانٍ/ أبديّة (34).

يرسم الشاعر في هذا المقتبس حالتينِ/ دلالتينِ للقنفذ، الحالة الأولى تتّسم بالحقد والشرّ والكراهيّة والعدوان، لأنّ في هذه الحالة يرمز القنفذ للأشرار الحاقدين الذين يسعون لتمزيق أرواح الآخرين؛ لكنّ الحالة الثانيّة التي يوحي بها القنفذ في هذا النص هي حالة مسيّجة بالنعومة والحب والتسامح وانتعاش الروح، إذ يصبح هذا القنفذ رمزاً للمحبة والمودة والخير إذا امتدّت له يد الصداقة والتآخي. فهذا الإنسان المتقنفذ «يكون شوكاً بالحقد... ويكون ورداً بالحب، يرى الشاعر عند الظلم والقهر والقتل يتحوّل الإنسان/ القنفذ إلى أشواك وخناجر تُدمي وتُمزّق وتحصد اليابس والأخضر... غير أنّ هذا الإنسان/ القنفذ نفسه يتحوّل إلى ورد جميل أو ريش ناعم أو مخلوق رحيم إذا امتدت له يد دافئة، وغمره الحب ممّن حوله... فيعيد هذا الحب (الرحمة للأطفال اليتامى) والعطف على كل مكروب و(الاطمئنان) لكل محتاج» (35).

أما آنَ الأوانُ/ لأن يصحوا النائمون/ إذا طَرَقَ القُنفُذُ/ نافذةَ السّهر (36).

في هذا المقتبس تبرز ثنائيّة (النوم والسّهر)، فالنائمون يمثّلون الشريحة العاجزة عن تحقيق آمالهم وأهدافهم في المجتمع، أمّا الساهرون فهم الشريحة المتطلّعة إلى مستقبل زاهر والباحثة عن أسباب الخير والتقدّم. وقد اتّخذ القنفذ في هذا السياق دلالة توعويّة لتخطّي أسباب العجز والخواء.

9. الخاتمة:

- وجَدَ محمد عبدالله نورالدين في "القُنفُذ" دلالات رمزيّة وإيحاءات خصبة ورؤى فكرية جديرة بالمتمعّن. وقد رأى في هذا الكائن دلالات متناقضة تكشف عن ثنائيّة الخير والشر في ذات الإنسان.

- للشاعر قدرة فنيّة على التفاعل مع الواقع جسّدها في آلية الترميز. وقد تمكّن بمقدرته الشعرية على التفاعل مع الواقع، من سرد أدقّ تفاصيل رمزية القنفذ ودلالاته.

- وظّف الشاعر محمد نورالدين للتعبير عن عزلته واستبعاده عن البيئة البشريّة، هذا الكائن العجيب الذي يتّسم بالعزلة في محطات حياته.

- استخدم الشاعر في نصوصه "القنفذ" للدلالة على الانزواء والتهميش والعزلة، لأنّ القنفذ من الحيوانات المُحبة للعزلة والنوم، وهو كائن غريب يسرح ويمرح في الليل، ويهجع في النهار.

- يوكّد الشاعر محمد نورالدين في نصوصه على مبدأ التعايش السلمي مع الآخر والتعاطف مع البشر. رؤية الشاعر الإنسانيّة أدّت إلى فهمِ الواقع ووعيهِ فدفعته إلى التعايش مع هذا الواقع المتأزّم. وللتعبير عن هذا التعايش والتعاطف لجأ إلى ترميز "القنفذ" لأنّه كائن مسالم.

- يرمز الشاعر محمد عبدالله نورالدين بهذه التشكّلات القنفذية إلى تحوّلات وتقلّبات الإنسان المعاصر في فئاته أو نماذجه الرئيسة الثلاثة: الخير والشر والعزلة.

- يلخّص حضور القنفذ بكلّ تفاصيل رمزيته، جملة العوامل والنتائج التي أدّت بالشاعر إلى الانزواء ، وعدم المشاركة في حركة التغيير نحو الأفضل.

- هذه الدلالات الرمزية للقنفذ تستمدّ طاقاتها الشعورية والإيحائية من رؤية الشاعر الخاصة إذ لم يسبق لأحدٍ ترميز هذا الكائن في شعره وتفجير طاقاته التعبيرية التي تنبع من استيعاب الشاعر لأبعاد مآسي الإنسان المعاصر.

10. الإحالة والتهميش:

1- مجموعة من المؤلفين، الإنسان القنفذ/ قصيدة النثر، قراءات نقدية، جمع ومراجعة: رقية البلوشي، ط1، أبو ظبي، نبطي للنشر، 2019م، ص 11.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج1، بيروت، دار صادر، 1998م، مادة رمز.

3- يوسفي سوهيلة، الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل – خليل حاوي، اطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس – سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2018م، ب.

4- رسول بلاوي، وحسين مهتدي، «الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي»، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 11، العدد 2، 1436هـ، ص 187.

5- محمد عبدالغفار القاضي، قضايا الإنسان في شعر البياتي، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، 1995م، ص 182.

6- أدونيس، زمن الشعر، ط2، بيروت، دار العودة، 1978م، ص 16.

7- خالد سليمان، في الشعر العربي الحر، إربد، منشورات جامعة اليرموك، 1987م، ص 32.

8- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1984م، ص 134.

9- مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1981م، ص 157.

10- رسول بلاوي، آليات التعبير في شعر أديب كمال الدين، ط1، بيروت، منشورات ضفاف، 2015م، ص 63.

11- ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة قنفذ.

12- محمد هاني عطوي، «القنفذ..»، 2013/07/17، موقع الخليج، الرابط التالي:
http://www.alkhaleej.ae

13- آلاء صلاح، «ما هو غذاء القنفذ»، 12 أكتوبر 2016م، موقع موضوع، الرابط التالي:
https://mawdoo3.com

14- الجاحظ، الحَيَوان، شرح وتحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج 4، ط 2، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1966م، صص 166 – 168.

15- الكوفي القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2000م، ص 378.

16- مجموعة من المؤلفين، الإنسان القنفذ/ قصيدة النثر، قراءات نقدية، ص 16.

17- محمد عبدالله نورالدين، ديوان أَتَقَنفَذُ شوكاً، أبو ظبي، نبطي للنشر، 2019م، ص 113.

18- المصدر السابق، صص 106 و 107.

19- المصدر السابق، ص 107.

20-المصدر السابق، ص 102.

21- محمد مروان، «تعريف بحيوان القنفذ»، 24 مايو 2017م، الرابط التالي:
https://mawdoo3.com

22- محمد عبدالله نورالدين، ديوان أَتَقَنفَذُ شوكاً، ص 106.

23- مجموعة من المؤلفين، الإنسان القنفذ/ قصيدة النثر، قراءات نقدية، ص 61.

24- محمد عبدالله نورالدين، ديوان أَتَقَنفَذُ شوكاً، صص 108 و109.

25- المصدر السابق، ص 115.

26- المصدر السابق، ص 116.

27- محمد هاني عطوي، «القنفذ..»، 2013/07/17، موقع الخليج، الرابط التالي:
http://www.alkhaleej.ae

28- محمد عبدالله نورالدين، ديوان أَتَقَنفَذُ شوكاً، ص 112.

29- المصدر السابق، صص 113 و114.

30- المصدر السابق، ص 112.

31- المصدر السابق، ص 104.

32- المصدر السابق، ص 111.

33- الأنبياء/ 35.

34- محمد عبدالله نورالدين، ديوان أَتَقَنفَذُ شوكاً، ص 110.

35- مجموعة من المؤلفين، الإنسان القنفذ/ قصيدة النثر، قراءات نقدية، ص 22.

36- محمد عبدالله نورالدين، ديوان أَتَقَنفَذُ شوكاً، صص 114 و115.

11. قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولا: الكتب العربية القديمة:

1- ابن منظور، جمال الدين الأفريقي، لسان العرب، ج1، بيروت، دار صادر، 1998م.

2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحَيَوان، شرح وتحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج 4، ط 2، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1966م.

3- الكوفي القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ط1، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2000م.

ثانيا: الكتب العربية الحديثة:

1- أحمد، محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1984م.

2- أدونيس، زمن الشعر، ط2، بيروت، دار العودة، 1978م.

3- بلاوي، رسول، آليات التعبير في شعر أديب كمال الدين، ط1، بيروت، منشورات ضفاف، 2015م.

4- سليمان، خالد، في الشعر العربي الحر، إربد، منشورات جامعة اليرموك، 1987م.

5- مجموعة من المؤلفين، الإنسان القنفذ/ قصيدة النثر، قراءات نقدية، جمع ومراجعة: رقية البلوشي، ط1، أبو ظبي، نبطي للنشر، 2019م.

6- ناصف، مصطفى، دراسة الأدب العربي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1981م.

7- نورالدين، محمد عبدالله، ديوان أتَقَنفَذُ شوكاً، أبو ظبي، نبطي للنشر، 2019م.

ثالثا: المقالات:

- بلاوي، رسول؛ حسين مهتدي، «الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي»، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 11، العدد 2، 1436هـ، صص 185 – 209.

رابعا: الأطروحات:

- سوهيلة، يوسفي، *الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل – خليل حاوي*، اطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس – سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2018م.

- القاضي، محمد عبدالغفار، *قضايا الإنسان في شعر البياتي*، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، 1995م.

مواقع الشبكية:

- صلاح، آلاء، «ما هو غذاء القنفذ»، 12 أكتوبر 2016م، موقع موضوع، الرابط التالي:

https://mawdoo3.com

- عطوي، محمد هاني، «القنفذ..»، 2013/07/17، موقع الخليج، الرابط التالي:

http://www.alkhaleej.ae

- مروان، محمد، «تعريف بحيوان القنفذ»، 24 مايو 2017م، الرابط التالي:

https://mawdoo3.com